

مفاهيم القرآن

(365) إنَّ رابطة الإيمان لا تجمع الأفراد الحاضرين الأحياء فقط، وتشكّل منهم أُمَّةً واحدة متعاطفة متحابّة، بل تجعل المؤمن يشعر بالاخوّّة والعلاقة والرابطة حتّى بالنسبة إلى كلّ الذين سبقوه، وتطهّر قلبه من أيّة ضغينة أو غلٍّ تجاههم كما يقول القرآن.

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر: 10). إنَّ البحث حول الإشكالات الواردة على العناصر المكوّنة للأُمَّة في نظر الحقوقيّين موكول إلى موضع آخر، ونحن هنا نكتفي ببيان العنصر المعقول الصحيح الذي يبني عليه الإسلام مفهوم الأُمَّة ويحقّق وجودها الخارجيَّ الحقيقيّ وهو رابطة الإيمان، ووحدة العقيدة. إنَّ الإيمان هو الملاك الطبيعيّ لتكوّن الأُمَّة في نظر الإسلام، فهو الذي تترتّب عليه الحقوق، وتبني عليه علاقات الفرد المؤمن مع الفرد الآخر في الأُمَّة الإسلاميّة، وعلاقات الأُمَّة مع غيرها من الطوائف والأُمم الأخرى. إنَّ التجارب التاريخيّة المسلّمة، والوقائع المحسوسة أثبتت أنَّ رابطة الإيمان أقدر من غيرها على تجميع الأفراد وتكوين الأُمَّة الواحدة منهم، وتوجيههم وجهة واحدة ودفعهم إلى حماية أنفسهم وكيانهم وبثّ روح التعاطف والتراحم والتواصل بينهم، وإخراجهم أُمَّةً واحدة متماسكة بينما أثبتت التجارب والوقائع فشل الملاكات والعناصر التي ذكرها الحقوقيّون، لتكوين مفهوم الأُمَّة فضلاً عن تحقيق حقيقتها ووجودها على الصعيد الخارجيّ، لأنّها عجزت عن إيجاد أيّة وحدة حقيقيّة وأيّ تعاطف حقيقيّ وأيّ تلاحم وتراحم، وتعاون وتعايش ووثام وانسجام بين الأفراد. إنَّ التجربة الماضية والحاضرة برهنت على عجز (العامل القوميّ) المرتكز على وحدة الأرض أو الدم أو اللغة، أو التاريخ، عن إثارة همم الأشخاص وعزائهم، ودفعهم إلى أن يفكروا معاً في مسيرهم ومصيرهم ويتعاونوا فيما بينهم كما يتعاون أعضاء العائلة الواحدة، بينما برهنت التجربة قديماً وحديثاً على أنَّ الرابطة العقديّة في الإسلام